

يناديهم رسول الله لَمَّا قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقاً وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب^(١)



وبعد الضيق تتسع :

قال مسلم بن الوليد : كنت يوماً جالساً عند خياط بإزاء منزلي ، فمرَّ بي إنسان أعرفه ، فقممت إليه وسلمت عليه ، وجئت به إلى منزلي لأضيفه وليس معي دراهم ، بل كان عندي زوج أخفاف ، فأرسلتها مع جاريتي لبعض معارفها فباعتها بتسعة دراهم واشترت بها ما قلته لها من الخبز واللحم ، فجلسنا نأكل وإذ بالباب يُطرق ، فنظرت من شقِّ الباب وإذا بإنسان يسأل : هذا منزل فلان ؟ ففتحت الباب وخرجت ، فقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، واستشهدت له بالخياط على ذلك ، فأخرج لي كتاباً وقال : هذا من الأمير يزيد بن يزيد ، فإذا فيه : قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك ، وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا ، فأدخلته إلى داري وزدت في الطعام واشترت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيئاً يشتري به هدية لأهله ، وتوجَّهنا إلى باب يزيد بالرقعة ، فوجدناه في الحمام ، فلما خرج استؤذن لي عليه فرد أحسن رد وقال : ما الذي أقعدك عنا ؟

قلت : قلَّة ذات اليد ، وأنشدته قصيدة مدحته بها ، قال : أتدري لم أحضرتك ؟ قلت : لا أدري ، قال : كنت عند الرشيد منذ ليالٍ أحدثه ،

(١) من البداية والنهاية : ٢٩٥ / ٣ .

فقال لي : يا يزيد ، من القائل فيك هذه الأبيات :

سَلَّ الخليفة سيفاً من بني مضرٍ يمضي فيخترق الأجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما بهمُّ به قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما

فقلت : والله لا أدري يا أمير المؤمنين ، فقال : سبحان الله ، أيقال
فيك مثل هذا ولا تدري من قاله ؟

فسألت فقيلاً لي : هو مسلم بن الوليد ، فأرسلت إليك ، فانهض بنا
إلى الرشيد ، فسرنا إليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه ، فأنشدته ما لي فيه من
الشعر ، فأمر لي بمئتي ألف درهم ، وأمر لي يزيد بمئة وتسعين ألف
درهم وقال : ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء . . .

الأمن والخوف أيامٌ مداولةٌ بين الأنام وبعد الضيق تتسع^(١)



من أخبار المنصور :

جلس الخليفة المنصور في إحدى قباب مدينته ، فرأى رجلاً ملهوفاً
مهموماً يجول في الطرقات ، فأرسل من أتاه به ، فسأله عن حاله ، فأخبره
الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالاً ، وأنه رجع بالمال إلى منزله ، فدفعه
إلى أهله ، فذكرت امرأته أن المال سُرق من بيتها ولم تر نقباً ولا تسليفاً ،
فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : أفبكرٌ هي
تزوجتها ؟ قال : لا ، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا ، قال :
فشابةٌ هي أم مُسنة ؟ قال : بل حديثة ، فدعا له المنصور بقارورة طيب
كان يتخذ له حادّ الرائحة ، غريب النوع ، فدفعها إليه وقال له : تطيّب من

(١) بتصرف من المستطرف : للأبشيهي .